

روح المعاني

في بيان المعنى أي ولكن ما شاء الله تعالى من ذلك كائن مشيراً بذلك إلى النفع والضرر فإنه صريح في كون المستثنى من جنس المستثنى منها لمقتضى الاتصال لأن المدار عند المحققين في الأمرين على الإخراج من الحكم وعدمه .

ومما يقضي منه العجب زعم أن الإستثناء من فاعل لا أملك وجعل المعنلا أملك أنا ولكن الله سبحانه هو المالك لكل ما يشاء يفعل بمشيئته لكل أمة من الأمم الذين أصروا على تكذيب رسلهم أجل لعذابهم يحل بهم عند حلوله لا يتعدى إلى أمة أخرى إذا جاء أجلهم أي أجل كل أمة على ما هو الظاهر ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التقرير والإضافة لإفادة كمال التعيين وجوز أن يكون الضمير للأمم المدلول عليه بكل أمة ووجه إظهار الأجل مضافاً لذلك بأنه لإفادة المعنلا المقصود هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئها إليها بعينها من بين الأمم بواسطة إكتساب الأجل بإضافته عموماً يفيد معنى الجمعية كأنه قيل : إذا جاءتهم آجالهم بالجمع كما قرأ به ابن سيرين بأن يجيء كل واحد من تلك الأمم أجلها الخاص بها ويفسر الأجل بحد معين من الزمان والمجيء عليه ظاهر وبما إمتد إليه من ذلك فمجيئها حينئذ عبارة عن إنقضائه إذ هناك يتحقق مجيئها بتمامه أي إذا تم وإنقضى أجلهم الخاص بهم فلا يستأخرون عنه ساعة أي شيئاً قليلاً من الزمان ولا يستقدمون 49 عليه والإستفعال عند جمع على أصله ونفى طلب التأخر ولتقدم أبلغ وقال آخرون : إنه بمعنى التفعّل أي لا يتأخرون ولا يتقدمون والجملة الثانية إما مستأنفة أو معطوفة على القيد والمقيد ومنعوا عطفها على لا يستأخرون لئلا يرد أنه لا يتصور التقدم بعد مجيء الأجل فلا فائدة في نفيه وأجازه غير واحد والفائدة عنده في ذلك المبالغة في إنتفاء التأخر لأنه لما نظم في سلوكه أشعر بأنه بلغ في الإستحالة إلى مرتبته فهو مستحيل مثله للتقدير الإلهي وإن أمكن في نفسه قيل : وهذا هو السر في إيراد صيغة الإستفعال أي أنه بلغ في الإستحالة إلى أنه لا يطلب إذ المحال لا يطلب ودفع بعضهم ذلك بأن جاء بمعنى قارب المجيء نحو قولك : إذا جاء الشتاء فتأهب له وتعقب بأنه ليس في تقييد عدم الإستئثار بالقرب والدنو مزيد فائدة وأشار الزمخشري إلى جواب آخر وهو أن لا يتأخر ولا يتقدم كناية عن كونه له حد معين وأجل مضروب لا يتعداه بقطع النظر عن التقدم والتأخر كقول الحماسي : وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متقدم عنه ولا متأخر فإنه أراد كما قال المرزوقي حبسني الهوى في موضع تستقرين فيه فألزمهولا أفارقه وأنا معك مقيمة وطاعة لا أعدل عنك ولا أميل إلى سواك ووجه تقديم بيان إنتفاء الإستئثار على بيان إنتفاء الإستقدام قد تقدم في آية الأعراف مع بسط كلام فيها ثم لا يخفى أن هذه الآية داخله

في حيز الجواب ولم تعطف على ما قبلها إيدانا بإستقلالها فيه قال العلامة الطيبي طيب الله
تعالى ثراه : إن الجواب بقوله سبحانه : قل لا أملك إلخ وارد علناً أسلوب الحكيم لأنهم ما
أرادوا بالسؤال إلا إستبعاد أن الموعود من الله تعالى وأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه وهو
الذي يدعي أن ذلك منه فطلبوا منه تعيين الوقت تهكماً وسخرية فقل في الجواب هذا التهكم
إنما يتم إذا إدعيت بأنني أنا الجالب لذلك الموعود : إذا كنت مقراً بأنني مثلكم في أنني لا
أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً كيف أدعى ما ليس لي بحق ثم شرع في الجواب الصحيح ولم يلتفت صلى
الله تعالى عليه وسلم إلى تهكمهم واستبعادهم فقال : لكل أمة أجل إلخ وحاصله على ما في
الكشاف إن عذابكم له أجل مضروب